دلبتا

نبذة تاريخية

للخوري بطرس زوفاثيل

الفصل الرابع

بعض حوادثها التاريخية (تابع)

وفي غضون ذلك قدمت عمارة عثمانية ومعها بعض سفن انكليزية وغسوية وبروسية ومسكوبية تُقلُّ من الجنود العثمانيين ٥٥٠٠ ، ومن الاوربيين الفين . وكان سليم باشا قائدهم ، فوجّه الاسطول الى جونيه . فلما علم بالامر ابراهيم باشا وهو في بعلبك كتب الى عثمان باشا قائد جيشه ان يزحف الى وطا طبرية ، قرب رعشين وفوق دلبتا ، وكان معه نحو ٨٠٠٠ عسكري نظامي ، و ١٥٠٠ من الارناووط ، و ١٠٠٠ من الدروز . فلما شاهد سكان جرود كسروان كثرة عدد المحاربين انقادوا لمشورة الشيخ كنعان بن الخازن ، فخضعوا لعثمان باشا ، وسالموه ونجوا من أعباء الحرب ووبالها . واما رجال كسروان الاوسط ، وبينهم اهل دلبتا ، فخبأوا امتعتهم واثاث بيوتهم في الغابات والكهوف ، وتوجهوا بنسائهم واطفالهم وعجزهم الى شاطئ البحر . فدعا سليم باشا الاشداء منهم واعطاهم سلاحاً وبارودًا ورصاصاً وزادًا ، وحضّهم على مقاومة عثمان باشا ومقاتلته ، فلبوا امره وارتدّوا الى ساحة الحرب وكانوا في البداءة نحو ١٥٠ رجلًا واخذ عددهم يزيد يوماً فيوماً غير انه لم يتجاوز ١٥٠٠ رجل تحصّنوا بين الصخور على قمم الجبال المشرفة على الجيوش المصرية ، وفرّقوا قوّاتهم بين المنافذ والطرق مثل منفذ رعشين المؤدي الى دلبتا . ولمّا وصل ابراهيم باشا أمر بهجوم عامّ فأحدق جيشه بالكسروانيين فهزمهم ، وجدّ في اثرهم جنوباً حتى فيترون فاحرق مساكنها ، وشمالًا حتى قريتي جورة صهاد ونهر الذهب فأضرم النار فيهما ، وغرباً حتى منفذ قرية رعشين فاحرقها ايضاً وعند ذلك تلبدت السماء بالغيوم وامتدّ

ضباب كثيف صدّ الناس عن رؤية بعضهم فدبّ الرعب في قلوب رجال ابراهيم باشا ، وعدلوا عن مطاردة المنهزمين وتتبعهم في ذلك الوادي العميق الصعودي المؤدي الى دلبتا وتخيلوا ان هناك كميناً مدبّراً ، فارتدّوا الى الوراء. فرجع الكسروانيون بعد ان جمعوا شملهم وثبتوا في تلك القلاع الصخرية وأصلوهم النار ، وباتوا على تلك الحال في اصطدام وعراك ومقاومة وثبات من ١٥ ايلول الى ١ تشرين الاول ، وكان ذلك اليوم السبت . وفي اليوم التالي الاحد كان عيد سيدة الوردية ، فعزم اهل دلبتا وغسطا وغزير وشنعير المقيمون في منفذ رعشين ، واهل عرامون والجديدة وشحتول المقيمون في المعبر الشمالي ، على ان لا يضرموا نار الحرب في ذلك النهار الا بعد ان يحضروا الذبيحة الالهية ويقيموا حفلة رتبة صلوات الوردية المألوفة تلاوتها في ذلك العيد. فاعدّوا في الليل مظلة كبيرة من اغصان الاشجار وشيّدوا في داخلها مذبحاً ، واذ هم كذلك حدث ما لم يكن بالحسبان فقبل بزوغ الفجر وقبل الاحتفال بالقداس الذي اقامه القسّ عبد المسيح الدلبتاوي اخذ الجنود المصريون يسرجون المصابيح ويتأهبون للرحيل وكان قد صدر الامر بذلك على الفور ، اذ قد تولّاهم اليأس من الظفر. وفضلاً عن ذلك كانت حمى التيفوس قد فتكت بقسم منهم غير يسير ، فخافوا شرّ العاقبة . فلما درى الكسروانيون بذلك هبوا لساعتهم وجدّوا في السير على اثرهم ، فقتلوا بعضاً وأسروا بعضاً ، ونجا الباقون بالفرار . وترك المنهزمون من الاسلحة والذخر والمؤونة والملابس والامتعة شيئاً كثيراً فضمها الكسروانيون ، وكثيرون منهم بعد ان كانوا فقراء اصبحوا اغنياء بسبب هذه الغنائم . ولما بلغ سليم باشا خبر انتصار الكسروانيين كتب اليهم كتاباً فيه الثناء على شدة بأسهم وبسالتهم والعفوُ عن دفع الضرائب الاميرية مدة ثلاث سنين . وما لبث السيد وود الانكليزي ان توجه الى ميروبا ، وطلب ان يوافيه الى هناك اعيان البلاد فتلا على مسامعهم فرمان الباب العالي الذي ينصّب الامير بشير قاسم والياً على الجبل عوضاً عن الامير بشير عُمر الملقّب بالكبير [1] .

---

١) المقاطعة الكسروانية من ص٢٨٢ الى ٢٩٣ . — قد عثرت على جريدة اموال دلبتا

وفي سنة ١٨٥٨ بدأت الثورة على المشايخ ، فنزل البعض من الزوق الى جونية ، واهانوا الشيخ يوسف وردان الخازن وضربوه . فاجتمع الخازنيون في قرية غسطا ، وسلحوا رجالها ، وراموا الهجوم على زوق مكايل لمعاقبة المتمدّين من اهلها ، فاذا بالبعض من سكان دلبتا وعرامون وشفنير والجديدة جاءوا غسطا وشرعوا يستعطفون المشايخ ويسكّنون غضبهم ، فاقنعوهم بالاقلاع عن عزمهم . غير ان هذا السكون لم يدُم طويلاً ، ففي بدء سنة ١٨٥٩ ظهرت الضغائن ثانيةً ، فارسل الوزير خورشيد باشا ، فوكل الى الامير يوسف علي مراد اخماد الفتنة واصلاح الحال بين المشايخ وخصامهم ، وأرفقه بمائتي خيّال من الارناووط . فتوجه الامير الى غسطا لمفاوضة المشايخ في مركزهم ، فدرى الاهلون بذلك فثار ثائرهم وزادوا هيجاناً ، فاجتمع منهم في وقت وجيز نحو ٨٠٠ رجل مدجّجين بالسلاح ، فساروا الى غسطا بالحدو والصراخ طالبين ابعاد المشايخ عن كل قرى كسروان . ثم وثبوا على الدور ، واطلقوا على المشايخ الرصاص وطردوهم مع نسائهم واولادهم ، وبدّدوا شملهم . وكان سكان دلبتا مشايعين للخازنيين ، فأتى البعض من هؤلاء ومكثوا مدة في دلبتا ، ثم رحلوا الى بلاد جبيل وبيروت. وفي اثناء ذلك قام البعض من اهالي عرامون على آل الدحداح وراموا نفيهم ، فاسرع اعيان دلبتا وفي مقدّمتهم الخوري يعقوب الحاج وردعوا الثائرين عن غيّهم ورجّعوا السكينة بمعاونة بعض عقلاء عرامون [1]

وفي سنة ١٨٦٦ اشتدّت الضغينة بين يوسف بك كرم وداود باشا متصرف الجبل . وكان هذا قد جعل مشتاه في جونية فأمر الطاب قائد جنوده بطرد

الاميرية عن سنة ١٨٦١ ، قرأت على قفاها بعض اشعار عامية لا تخلو من الفكاهة غير اني لا اعلم الى من تشير ، والى اي شيء تلمح ، انشرها كما هي :

شيل يا زمان شيل بمكومك علينا شيل
واندال هذا الزمان صارت علينا وكيل
رائيت العجب واوي يبارك فيل
صبرًا جميلًا على ما تحكم الايام
والكلب قابض سيج ويريد منهُ كفيل

١) المقاطعة الكسروانية ، من ص ٢٣٥ الى ٢٤٢

كرم من دير مار ضوميط البوار وصدّه عن الوصول الى غزير ، ولمّا درى بالامر الشبان المشايعون لكرم من قرى دلبتا وغسطا ودرعون وعشقوت وعرامون شبّت نار الحماسة في رؤوسهم ، فاجتمعوا في مكان من خراج دلبتا يدعى «الفص» وهو في اعلى غزير ، فتصدّى لهم رجال الحكومة مع بعض الاهالي ودارت بينهم رحى القتال فظفر انصار كرم وهزموا خصامهم ، وكان الطاب قد وصل في تلك الاثناء مع جنوده فصدمهم اعوان كرم صدمة قوية . ولما فرغت ذخيرة هؤلاء وكثر عدد اعدائهم رجعوا القهقرى ، ولمّا بلغوا مدخل القرية المسمّى «المدّ» وهو مضيق صعب المرور به كثيرًا ثبت فوقه بين الصخور والاشجار ثلاثة من دلبتا متدجّجون بالسلاح ولبثوا مترصّدين فجدّ السائرون في اثرهم عازمين على دخول القرية فصاح بهم الرجال الثلاثة المذكورون واطلقوا عليهم الرصاص فاصابوا واحدًا منهم فصرخ قائدهم «بدار الفرار ان الاعداء كامنون بين الصخور وليس في وسعنا العبور» . فرجعوا مذعورين وسمّيت تلك المعركة «حرب الفص»[1] . وما تمّ ان عفا عنهم داود باشا بعد استتباب الامن .

الفصل الخامس

كنائسها واوقافها

في دلبتا كنيستان ، وديران قائمان : كنيسة مار يعقوب المقطّع ، وكنيسة سيدة النجاة ؛ ودير مار انطونيوس البدواني للرهبانية الحلبية ، ودير سيدة الحقلة للراهبات ، يلحق به دير مخرّب وهو دير المخلّص المسمّى «دير الفص» ، واني مفردٌ في هذا الفصل جزءًا لكل مؤسسة .

١ً كنيسة مار يعقوب المقطّع

هي الكنيسة الرعائية شفيعها القديس يعقوب المقطّع استشهد في بلاد العجم ، ويقع عيدُه في ٢٧ تشرين الثاني ، وقد اعتمد الخوري منصور في بحثه عن

---

١) المقاطعة الكسروانية ، من ص ٢٧١ الى ٢٧٤

تأسيسها على نبذة وضعها الخوري يعقوب الحاج لكني لم اعثر على نسخة منها[1]. ففي آخر الجيل السادس عشر[2] قد ابتنى سكان دلبتا المسيحيون في ساحة الكنيسة الحالية ، في الجهة القبلية ، كنيسة حقيرة مسقوفة بالاخشاب على اسم مار الياس ، ومكثوا يفون واجباتهم الدينية فيها الى اوائل الجيل الثامن عشر[3].

ولم أرَ من اسماء الكهنة الذين عاشوا في اثناء قيام هذه الكنيسة الصغيرة الا اثنين اولهما اسم الخوري يوحنا وجدتُهُ في صكّ مؤرخ سنة ١٦٤٧ ، لكنني لا اعلم ان كان هذا خادماً للقرية ام اصلهُ منها[4]. والثاني اسم صافي القديسي من

---

١) افتتح الخوري منصور بحثه قائلًا : « ان المرحوم الخوري يعقوب الحاج والد غبطة البطريرك يوحنا الحاج الذي كان من ذوي العقول الذكية ومشهور بالاستقامة والصفات الحميدة قد ألّف نبذة مختصرة في تأسيس كنيسة مار يعقوب المذكورة وابان فيها صريحاً عن زمن تأسيسها ومؤسسها وألمح بذكر الكنيسة القديمة التي كانت على اسم مار الياس الحيّ.

« وما حرّره الخوري يعقوب المشار اليه بهذه النبذة هو كلّي الصدق : اولًا لان هذا الاب كان من الاشخاص الصادقين المعتبرة اقوالهم ثانيًا لانه شاهد عياني لان اغلب ما حرّره قد صار في حياته وعلى عيانه . واما الذي صار قبل حياته فاخذه عن حياة المرحوم عمه الخوري انطون الحاج الشهير بالتقوى والتعقل الذي تمّ بناء الكنيسة في حياته فكلما صار على عيانه (اي الخوري انطون) والذي عرفه من ابن عمه الخوري يعقوب الحصروني المتقي في تجديد هذه الكنيسة فجميعه قد لقّنه لابن اخيه المشار اليه صاحب النبذة . ثالثًا ان هذا الاب يُزكّي ما حرره في نبذته بيمين قائلًا في اخرها هكذا: « قد حرّرت روايتي هذه عارية عن كل نقص وبعيدة عن كل ميل والله فاحص القلوب يشهد عليّ بذلك » .

« هذه النبذة قد نقلها المرحوم الخوري يعقوب الجميّل بخط يده وحلف يمين على صحة نقلها وعلى انها مطابقة لمطلوبيته . واما الذي حدث بعد توفي الخوري يعقوب الحاج المومى اليه فاذا كان تجديد عقارات فيكون اثباتها صكوكها وان كان تجديد بناء او تحسين او تغيير شيء ما في الكنيسة فيكون اثباته من عنوانه او تاريخه » اه .

٢) يقول الخوري منصور في النبذة ان السكان ابتنوا الكنيسة في اخر الجيل السادس عشر (ص ٩٠) واما في السجل فيقول انهم ابتنوها في اوائل الجيل السابع عشر (ص ٧) .

٣) وفي النبذة يقول : « قرب آخر الجيل السابع عشر » .

٤) هاك نصّ الصك بحرفيته : « سنة ١٦٤٧ اشترى منصور الحتوني من دلبتا الحفلة التي في جورة القلاد الذى لدير مار شليطا الذي وقفها الخوري يوحنا متاع دلبتا بثمن قرش ونصف وقبض حقها الخوري سركيس المتولي على الدير وعوّضه البركة وكتب هذه الورقة لاجل التمسك حتى لا يبقى احد يدّعي عليه » .

شنتير ، الذي بعد ان درس الفلسفة واللاهوت في مدرسة رومية رجع الى وطنه سنة ١٦٥٣ ، وروى عنه الدويهي انه « بعد ما تزوّج سيم كاهناً على دلبتا فأرسل واخذه الى عجلتون الشيخ ابو نوفل قنصل بيروت ليخدم اهل عجلتون ويكون ترجماناً بينه وبين الفرنج تجار بيروت ، ثم مات سنة ١٦٧٦[1] » وقد يكون الذين خدموا هذه الكنيسة من الرهبان المنتمين الى دير سيدة الحقلة او الى الرهبانيات ، اذ يظهر ان عدد من كان يزهد في العالم من سكان دلبتا ويدخل الاديرة لا يُستهان به وقد لاحظت ذلك من ورقة قديمة مأخوذة عن روزنامة دير قزحيا تنبئ مثلاً ان الذين لبسوا الاسكيم من دلبتا وحدها في الدير المذكور سنة ١٧٨٤ كانوا خمسة [2] وسنة ١٨٠٤ كانوا ثلاثة [3] .

ونحو سنة ١٦٨٠ قدم دلبتا وخدمها الخوري يعقوب الحصروني من آل عواد [4] ولما كان كثير التعبّد لمار يعقوب المقطّع أتى بذخيرة من جسد هذا

---

١) الاب لويس شيخو : الطائفة المارونية والرهبانية اليسوعية ص : ١٢٤ . قد اختلف المؤرخون في كتابة اسم صافي هذا أتهم من قال انه القديمي ، ومنهم من أكد انه رأى هذا الاسم في احدى مخطوطات المكتبة الوطنية في باريس مكتوباً باحرف غير جلية ويظن انه « صافي خوري » لا صافي القديمي ومنهم من يرتأي انه مأخوذ عن اللغة الايطالية : giudice اي القاضي ، وهذا المرجّح عندي ، لان عائلة القاضي موجودة في شنتير سيما وانه كثيراً ما نقلت الاعلام العربية الى كلمة تفسّرها في اللغة الايطالية كما ترجم القمر بلونا (Luna) والعظم باوسولي (Ossoli) وفهد بلنكس (Lincei) . . .

٢) هذه اسماؤهم : الاخ ارميا دلبتاني ، والاخ ساروفيم دلبتاني ، والاخ ليشع دلبتاني ، والاخ يوحنا دلبتاني ، والاخ يوسف دلبتاني ، ترهّبوا عن يد الاب بولس مزرعاني .

٣) هذه اسماؤهم : الاخ برتردوس دلبتاني في زمن الاب اغناطيوس بليبل ، والاخ موسى دلبتاني من يد الاب مرقوس الشنتيري ، والاخ بيسين دلبتاني من يد الاب سكاريوس الوادي .

٤) قد ذهب الناس في امر دروس الخوري يعقوب المذكور مذاهب . فالخوري يعقوب الحاج يقول في نبذته في العدد الاول « انه كان من تلاميذ مدرسة الطائفة في رومية وانه ارتسم كاهناً وخدم قرية دلبتا بواسطة المطران بطرس مخلوف القسطاوي الذي سامه البطريرك اسطفانوس الدويهي استناداً على كتبة قبرس سنة ١٦٧٦ » . وغيره يزعم « انه كان من تلاميذ المدرسة المارونية في رومية وان البطريرك اسطفان الدويهي سامه كاهناً وامره بخدمة قرية دلبتا » . وغيره يروي « انه قد درس العلوم المطلوبة لدرجة الكهنوت على احد تلامذة مدرسة رومية وهو كان شماساً عند المطران بطرس مخلوف الذي سمى في زيجته وسيامته كاهناً

الشهيد كان يعرضها للتكريم والصلاة ثمّ يغمسها في الماء ويسقيه المرضى او ينضحه عليهم ، فنال البعض نعمة الشفاء ، فانتشرت هذه العبادة في القرية وجوارها بزمن وجيز وشاعت عادة « زياح الذخيرة » ولبثت حتى يومنا هذا [1] . ومنذ ذلك الحين اخذ الخوري يعقوب يحرّض اولاد رعيته على ان يشيّدوا كنيسةً جديدة كبيرة « معقودة بالحجارة » لا مسقوفة بالاخشاب على اسم مار يعقوب ومار الياس . غير ان المنيّة عاجلته وحالت دون تحقيق فكرته ، فاصابه ما اصاب داود الملك الذي رغب في ان يكون لله هيكل عظيم ومات في رغبته هذه ولما ملك بعده ابنه سليمان أتمّ ما تمنى ابوه واقام لله هيكلاً عظيماً جميلاً . وخلف الخوري يعقوب في خدمة الرعية ولده يوسف ، سيم كاهناً ودُعي يعقوب باسم ابيه وضارع اباه غيرةً ونشاطاً واقداماً ، فباشر حالاً تأسيس الكنيسة سنة ١٧٢٣ . وفي ذات الوقت اوصى برسم صورة القديس يعقوب التي لا تزال موجودة في الكنيسة ، فوق باب النساء ، ترى في اسفلها هذه الكتابة :

« اعتنى في عملها الخوري يعقوب الحصروني لتكن شفيعة له والمشوقين معهُ . عمل الراهب اللبناني سنة ١٧٢٣ » (٢) .

وقد ابدى الاهالي في بناء كنيستهم همّة نادرة وحماسة تفوق الوصف . أجل كانت حالتهم فقريّة وعددهم زهيداً لان البيوت كانت تتراوح بين الثلاثين والاربعين ، غير ان غريب حميّتهم ومزيد تقواهم وعظيم ايمانهم كل ذلك جعلهم لا ينثنون عن الكدّ مثابرين على العمل . ولقد تناقل الشيوخ خلفاً عن سلف ان النساء كنّ يسرن على الاقدام الى البحر مسافة ثلاث ساعات ليأتين بالماء

وعينه كاهناً لخدمة دلبتا باسم غبطة البطريرك اسطفانوس الدويهي » . وقد يكون انه قضى بعض السنين في مدرسة رومية ورجع منها قبل اتمامه دروسه بسبب مرض او حادث آخر ، واكمل في وطنه العلوم المطلوبة للكهنوت وسيم كاهناً . والله اعلم .

١) ان هذه العادة تسمى الى الان « زياح اصبع مار يعقوب » .

٢) ان الراهب اللبناني المصوّر الشهير في تلك الايام هو القس بطرس القبرسي الماروني ، له صور كثيرة متفرقة في كنائس لبنان . وقد افادني حضرة الخوري اسطف بطرس حبيقة انه ولد سنة ١٦٩٨ ، عاش في دير مار الياس شويا على عهد رئاسة القس توما اللبودي ومات في عمل الرسالة في عكا سنة ١٧٦٤

المالح للبنيان . ولما بلغ البناء القد ، غدرت المنية بالخوري يعقوب ، وذلك بعد سنة ١٧٥٠ فخلفه في خدمة الرعية ، بمعاونة الخوري عبدالله مخلوف ، ولده الياس الذي سيم كاهناً ودعي يعقوب باسم ابيه المتوفى، لكنه لم يماثلهُ غيرةً ومعرفة فأُوقف شغل الكنيسة في ايامه [1] . وبعد ان استقام هذا مدة في وظيفته رحل باولاده عن دلبتا ،وسكن زواريب عين شقيق في المكان المسمى جورة طفزون، واخيراً باع املاكه في دلبتا وسافر الى وادي العرايش في البقاع وتوفي هناك .

١) هاك اسماء الكهنة الذين خدموا كنيسة مار يعقوب :
الخوري يعقوب الحصروني الاول الذي كان خادماً للكنيسة القديمة ، وحرض الاهلين على تشييد الكنيسة الجديدة .
الخوري يعقوب الحصروني الثاني الذي باشر بناء الكنيسة .
الخوري عبدالله مخلوف . الخوري يعقوب الحصروني الثالث .
الخوري جرجس برهوش من ساحل علما .
الخوري الياس ضومط ، وجدت اسمه في صكوك مؤرخة بسنين ١٧٥٦ وسنة ١٧٦٦ ، غير اني لا اعرف مسقط راسه ولا عائلته .
الخوري بطرس روفائيل الارل خدم الرعية بعد سنة ١٧٨٠ ، توفي سنة ١٨٠١
الخوري الياس دارس باسيل توفي سنة ١٨١٦
الخوري ابرهم الحتوني خدم الرعية سنة ١٨٠١ ، توفي سنة ١٨٢٤
الخوري عبدالله الحتوني خدم الرعية سنة ١٨١٦ ، توفي سنة ١٨٢٩
الخوري يعقوب الحاج خدم الرعية سنة ١٨٢٩ ، توفي سنة ١٨٧١
القس مبارك من رهبان دير سيدة الحقلة خدم الرعية سنة ١٨٢٩
الخوري يوسف ديب خدم الرعية سنة ١٨٣٤
الخوري يعقوب الجميّل خدم الرعية سنة ١٨٣٥ ، وتركها سنة ١٨٩٠ ، توفي سنة ١٨٩٢
القس غسطين الجميّل الراهب الانطونياني خدم الرعية سنة ١٨٦٤ ، تركها سنة ١٨٦٩
الخوري بطرس كرم روفائيل خدم الرعية سنة ١٨٦٩ ، توفي سنة ١٩٢٠
الخوري ابرهم الحتوني خدم الرعية من سنة ١٨٧٠ الى ١٨٧٩ ، ثم رجع الى خدمتها سنة ١٨٩٠ ، توفي سنة ١٩١٧
الخوري شكرالله مراد خدم الرعية سنة ١٩٠٦ وتركها سنة ١٩٠٨
الخوري لويس الحتوني خدم الرعية سنة ١٩١٧ وتركها سنة ١٩٢٤
الخوري لويس الجميّل خدم الرعية سنة ١٩١٧ وتركها سنة ١٩١٨
الخوري يوسف روفائيل خادم الرعية منذ سنة ١٩٢٤ ويعاونه الخوري يوحنا الحداد منذ سنة ١٩٢٤ .

(الخاتمة)